

ليبيا

الاسم ومدلولاته التاريخية

للدكتور محمد عبد الهادي شعيرة

للتسميات الجغرافية معان وملايسات تجعل لها قيمة تاريخية ، ولهذا حرص المؤرخون على الانتفاع بدراسة الأسماء . وهم يسمون استنباط الأخبار من الأسماء بـ **فقه الأسماء** أو **الأونوماستيك** (Onomastique) والأسماء قد يعترها الاندثار كما اندثر في مصر وليبيا كثير من الأسماء اليونانية القديمة التي كانت شائعة أيام اليونان . وقد تنمو مدلولات الأسماء وقد تتضاءل . ومن الأسماء ما ينقلب ويحل محله ضده ، ومنها ما يعبر عن فكرة جغرافية وهكذا .

ونبغي في هذا البحث معرفة ما طرأ على لفظ ليبيا من ناحية فقه الأسماء ، كما نريد أيضا أن نتدرج في مختلف العصور مع مدلولات الاسم التاريخية .

مدلولات بعض الأسماء : فمن الأسماء ما يكون محليا محدودا ثم ينمو ويمتد اطلاقه حتى تسمى به قارة كبيرة مثل اسم إفريقية . ومنها ما يكون اسم قارة ثم يتضاءل حتى يصبح اسما لشعب محدود واقليم معين مثل اسم ليبيا ، وسنرى بالتفصيل كيف تم هذا التطور .

وقد تعدد الأسماء المطلقة على بلد معين ، فتختار كل لغة من لغات الحضارة اسما دون غيره ، فنحن العرب نقول برقة ويقول الفرنج في لغاتهم سيرينايا ، نسبة الى قورينة . وكنا نقول طرابلس الغرب منذ أيام العثمانيين وكان يترجم عنا الفرنج فيقولون طريبوليتانيا وكانت الأبحاث العلمية تذكر اسم ليبيا ، ثم عدل الفرنج منذ الاحتلال الإيطالي الى استعمال اسم ليبيا ثم فضلنا نحن استعمال نفس الاسم . وقد تنقل لغة عن لغة مثال ذلك اسم المغرب فانه أثقل من لغتنا الى اللغات الأوروبية .

ومن التسميات ما يعبر عن فكرة معينة ، لتدل على جنس أو لتدل على فكرة عن الجنس . فقد كان الفرنسيون في القرن السابع عشر يطلقون اسم **Barbarie** على بلاد المغرب ، ثم صار المؤلفون الفرنسيون المحدثون يطلقون اسم **Berhérie** على ما أخضعوه من بلاد الشمال الأفريقي دون ما لم يخضعوه . والفرنج انما ورثوا هذه (1) مثل اندريه جوليان ، وجورج مارسيه ، وغيرهما كثير

التسمية عن الرومان وكان الرومان أول من أذاعوها، وكذلك ورثها العرب وحاولوا أن يفسروها بالنسب فقالوا: بر بن قيس أبو البربر. أما البربر فيسمون أنفسهم باسم الأمازيغ (مؤنثة : تمازغت ، وجمعه أمازيغ) والمعنى الرجال الأحرار النبلاء . وقد يجب أن نذيع هذا الاسم إذا سرنا على مبدأ تسمية الناس بأحب أسمائهم إليهم . وهكذا حدث للبربر ما يحدث للأشخاص في القرى والمدن الصغيرة والأسر فيشتهر الرجل باسم غير اسمه الأصلي للتعبير الجماعي عن فكرة معينة . وقد تختار الدول أسماء فتذيع أو تسقط مثال ذلك اطلاق الانجليز على قواتهم في ليبيا : اسم « القوات البريطانية في شمال افريقية » ، ولعل لهم غرضا في العدول عن اسم ليبيا .

ومن الأسماء ما يسقط ليحل محله تقيضه تبعاً للظروف الحضارية . فنحن اليوم تتبع الغرب الأوربي والأمريكي في تسمية بلادنا باسم الشرق ونسبنا بالشرقيين ، لأن بلادنا صارت تقع الآن في شرقي الحضارة (قبل أن يعظم شأن روسيا) ؛ وكذلك كانت برقة ومصر والشام في العصر الروماني والبيزنطي تسمى باسم المشرق (Anatoly) . أما فيما بين ذلك في العصر الذي كانت حضارة الاسلام فيه الحضارة المركزية وكانت بغداد فيه مدينة العالم المتحضر فقد كانت التسميات تطلق بالنسبة لهما ، فكل ما يقع شرقي الرافدين كان يسمى مشرقا ، وما يقع غربيه يسمى مغربا . فكانت البلاد الاسلامية من الفرات الى المحيط الأطلسي تسمى بالمغرب وكان تسمى أيضا بحسب قول جغرافي في القرن الرابع الهجري بالاقاليم العربية .

ومن قبيل التسميات الخاصة ما يراد به التعبير عن فكرة ، مثال ذلك أن أستاذا كبيرا تلمذنا عليه خصص مجلدا للتاريخ الاسلامي وجعل عنوانه Les Barbares بمعنى الأعاجم أو البرابرة على أساس أن الرومان كانوا يسمون غير الرومان بهذا الاسم . ومن الأسماء ما يعبر عن سمة جغرافية بارزة ، كاطلاق اسم بلاد الأطلس على « افريقية الشمالية الفرنسية التي تتشامخ في أرجائها جبال الأطلس . ومثال آخر هو تسمية نفس هذا المغرب باسم افريقية الصغرى Afrique Mineure باعتبارها ركنا مستقلا أو قارة داخل قارة أكبر . وقد ورد مثيل لهذه التسمية عند ابن خلدون (ح ٦ ص ١٠١) « جزيرة المغرب » فتشابهت التسميات أو تقاربت مع تباعد العصور . اسم ليبيا وكيف استقبل حديثا واسم ليبيا معروف منذ أقدم الأزمنة ، وشعب البربر (١) أنظر : محمد عبد الهادي شعيرة : تقسيمات اقليمية في العصر العباسي الاول ، مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق (الاسكندرية) ١٩٤٤ ، وأنظر أيضا القدسي (ق ٤ هـ) ص ٨٧

أو شعب الأمازيغ هو الجنس الليبي النازل من حدود مصر الى المحيط . واسم ليبيا مشهور في الأبحاث التاريخية في كل العصور قديمها وحديثها ، سواء عندما كان يطلق على كل قارة افريقية أو عندما صار يطلق منذ أيام الرومان على منطقة معينة . وقد عرف المسلمون الاسم فيما كتبوا وكان له عندهم مدلولات معينة .

غير أن الاحتلال الإيطالي الذي ابتليت به البلاد منذ بضعة عقود من السنين اقترن باسم ليبيا . وكان طبعيا أن يحرص الوطنيون المجاهدون في داخل البلاد وفي مهاجرهم على أن يلتزموا التسمية القديمة ، فكانوا يقولون طرابلس وبرقة ، ولعلمهم وجدوا في هذه التسمية الثنائية تأكيدا لتضامن شطرى البلاد ، وفعلا استغل جيش التحرير الوطنى هذه التسمية الثنائية وتمسك بها الى أن جرى اسم ليبيا على الألسنة وأصبح عرفا دوليا ، واعترفت الدول باستقلال ليبيا ، وانكشفت الغمة فاتخذت الدولة الليبية في عهدها الجديد اسم المملكة الليبية المتحدة . ووصف الشعب أو المملكة بأنه ليبي وصف صحيح سليم .

ومع ذلك فإن ذبوع هذه التسمية مع الاحتلال واقترانها به كان أمرا كريها جارحا لحساسية المجاهدين . وظل بعض علماء ليبيا ينفرون من الاسم الجديد القديم . وقد عبر الأستاذ الطاهر أحمد الزاوي عن هذا النفور في كتابه « تاريخ الفتح العربي في ليبيا » نشر دار المعارف ، القاهرة . فقال انه اسم دخيل « قصد به القضاء على الأسماء العربية التي كان تطلق على المقاطعات الثلاث » أى طرابلس وفزان وبرقة . وفضل الزاوي الاحتفاظ باسم طرابلس (وإن لم يلتزم ما دعا اليه في عنوان كتابه) ، وهو الاسم الذي لا يزال مسجلا في كل ما وضع منذ جيل من الخرائط والقواميس والمؤلفات والوثائق ، وهو اسم يناسب العرف الاسلامي القديم بتسمية البلاد أحيانا بأسماء عواصمها .

وفريق آخر من العلماء استقبلوا الاسم بالترحيب ، وراوه أسهل من الاسم الثنائي المشطر وأفضل من تسمية البلاد بولاية دون ولاية ، فإن التشطير كان في تاريخ البلاد نكبة مزمنة . ويمثل هذا الفريق زميلنا الأستاذ مصطفى عبد الله بعيو عميد كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية غير أنه يرى ضرورة تعريب الاسم ورسمه في صورته العربية الأصلية بالواو لا بالياء .

ومسألة الواو أو الياء والجدل حولهما مسألة من مسائل فقه اللغة ، وهى مسألة لا يمكن أن تؤثر على التسمية الحديثة بالياء مهما يكن رأى علماء فقه اللغة مع الواو

(١) يعتمد الاستاذ بعيو في ترجيح الواو على ١ - المعجم الجغرافي للمجمع اللغوي بالقاهرة ، ٢ - قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوى للمرحوم شيخ العروبة أحمد زكى باشا (المطبعة الأميرية) القاهرة ١٨٩٩ ، ٣ - النصوص التاريخية والجغرافية

أو عليها . فإن التسميات ظواهر اجتماعية قلما تتأثر برأى فرد واحد أو أفراد خواص . والواو والياء بعد هذا ليسا إلا واواً ممدودة أو كسرة ممدودة ، والكسرة والفتح يرد في تسمية مصر ، ويقول أهل تونس قرطاج ويقول غيرهم قرطاجنة ، ويقول أهل ليبيا الفرنسيين كما كان يقول الجبرتي ويقول غيرهم وبعضهم الفرنسيين . وكنا نقول لندره وصرنا نقول لندن . وكل هذه الأمثلة تدل على أن النطق متوقف على حالة الناقلين للاسم أو الناطقين له . فلا بأس إذا كان الأمر كذلك أن تحتفظ الأجيال بالواو وأن نعدل نحن في عصرنا هذا إلى الياء . فهذا العدول ناشئ عن أننا أصبحنا أقدر على نطق الأسماء كما ينطقها الأجانب ، وأصبحنا من جهة أخرى أكثر استجابة لترقيق الأصوات .

والجدل حول الواو والياء هو جدل حول الرسم ، انضاف إلى الجدل حول الاسم .

وهذا كله عبارة عن محاولة جماعية لتحديد الموقف من التسمية ، وهي محاولة تنم عن شيء من القلق . ولكنها محاولة أظهرت في حقيقة الأمر طابع هذه الأمة الليبية . فالصبغة العربية في التسمية هي النقطة التي يتلقى عندها العالمان الليبيان . فأما أحدهما فيريد التزام النطق الوارد فعلاً لدى كتاب المسلمين ، وأما الآخر فيريد الاحتجاج على ما يسميه « القضاء على الأسماء العربية » . ونحن نلمس كذلك في موقف العالمين الليبيين روح المحافظة على القديم كما ترسمه التقاليد الإسلامية ، كما نلمس كراهة الدخيل التي رسبت من بلاء الاحتلال ، ونلمس كذلك اتفاقاً من العصبية الإقليمية وحرصاً على الوحدة المنشودة بين أشطار البلاد . وهكذا ترى أن النظر في اسم ليبيا كشف لنا عن المشاعر القومية العميقة .

القلق الذي يحدثه الاسم : وللأسماء تأثير في النفس يحدث تلازماً وتداخلاً بين الاسم والمسمى . ومن المسميات ما يجب أن تكون لها قداسة تقتضى الثبات وتتنزه عن التحوير . واسم الوطن جزء من كيان الشعب يجب أن يكون ثابتاً . وكل مساس القديمة مثل المقدسي وابن خرداذبه، وياقوت، وابن خلدون، والمقريزي، وابن رسته، والبيروني وكثير جداً غيرهم .

وإذا كان لنا أن ندلي برأى في الموضوع فإننا مع اعترافنا بأن الفصل فيه إنما يكون لعلماء فقه اللغة لا لأمثالنا المؤرخين نقول أن الواو أصح . وقد ورد الاسم في النقوش بما يقابل الياء والواو مجتمعين في صوت واحد (والنقوش في الشحات) (بوتا وأويسلون I'Y) فالياء المجتمع مع الواو لا بد أن تعال ولا بد أن تخرج عن كونها ياء صريحة ، ولكن الاسم في رسمه اليوناني يرد أيضاً في القواميس وفي أشيع اللهجات بالياء الصريحة . فكيف يكون النطق ؟ والجواب أننا نجعل النطق اليوناني القديم ولا نستطيع إلى الآن أن نصل إلى ضبطه ضبطاً تاماً . ولنا أن نلتزم النطق الوارد لدى الأكثرية من كتاب المسلمين : بالواو .

بمبدأ الثبات يورث حتماً شيئاً من القلق . وهنا السر في أن بعث اسم ليبيا حفز الجماعة إلى التعبير عن موقفها على أقلام مفكريها . ومع ذلك فإن القلق لم يكن كبيراً فإن عامة الناس قبلوا الاسم وعرفوه وتسموا به بكل سهولة ويسر ، كأنما عاد اليهم غائب آلياً .

موقف المؤرخين من التسميات :

والمؤرخون يسجلون هذه التسميات ويحرصون على أن يحددوا مدلولاتها في كل عصر . وقد رأيت من التسميات ما يتحول إلى تقيضه مع الزمن . ومن التسميات ما ينبئ عن وضع حضارى كنسبة البحر الأبيض بالبحر الشمالى عند هيرودت، وكتحديد بحر الروم أنه من انطاكية إلى القسطنطينة إلى صقلية فهو تحديد يرجع حتماً إلى عصر معين (ص ١٤٥ ابن الفقيه الهمداني كتاب البلدان ، ليدن ١٣٠٢/١٨٨٥) .

والتاريخ في حالتنا هذه ينفع في إزالة الشبهات ، وتبديد القلق ، واستعادة الذكريات ، فهو ذاكرة الأمم . والمؤرخون حين يبعثون الماضي أشبه بالاطباء حين يعيدون الذاكرة لمن فقدوها . وقد يكون في بعث الأسماء الأصلية قوة وتمكين وفخر ، وعندئذ يكون بعث الاسم القديم أمراً يستدعى الترحيب .

وتاريخ اسم ليبيا يزيل الشبهات ويبدد القلق . فانه اسم أقدم من الحضارتين اليونانية والرومانية ، كان اسم قبيلة ليبية ثم أطلق على كل القبائل الليبية وصار علماً على جنس وعلى القارة التي هي منزل هذا الجنس ، ثم ظهر اسم آخر ، هو اسم قبيلة أفري وما بنفس الطريقة تماماً وزاحم الاسم القديم ، فاعتصم الاسم القديم بهذه البلاد وأطلق عليها دون غيرها وصار علماً لها ، ثم اعتصم الاسم في أواخر العصر البيزنطي وفي العصر الاسلامى بذاكرة التاريخ والجغرافيا حتى عاد آخر الأمر عودة الغائب إلى أهله .

فلا بأس إذن من أن تعتصم البلاد بالاسم القديم وما فيه من جمع وشمول عند احساس الخطر على وحدتها أو على كيانها ، ولا بأس من أن تجد البلاد فيه تعبيراً عن وعيها بكيانها .

مدلولات الاسم التاريخية :

والأخبار عن ليبيا في عصر ما قبل التاريخ ليس فيها أسماء بطبيعة الحال لأن

(١) ويقول الأستاذ لوت عن القومية التشيكية انها ظلت حية في صدور الفلاحين وبعض الأتريين والمؤرخون وأصحاب فقه اللغة والنحويين . وهم جماعات مجردة من العدوان إلى أقصى حد ولكنهم في الحقيقة ذوو شأن عظيم لانهم يحبون الماضي . . . الخ LOT : Les Invasions Barbares, Paris 1937

البشرية لم تكن في تلك الأزمنة اخترعت الكتابة لتسجيل النطق والأخبار ، وكان التعبير قاصراً على الرسم وعلى ما خلفوا من أدوات . ثم تأتينا أخبار ليبيا في العصر التاريخي من النقوش والبرديات الفرعونية ، ثم تأتينا الأخبار عن اليونانيين منذ نزول الدورين بالبلاد في القرن السابع ق م ، ثم تعدد مصادر الأخبار فنجدها عند اليونان وعند الرومان وعند العرب .

وتبدأ أخبار الليبيين مع أول الفراعنة (مينا - نامر) ففي متحف القاهرة الفرعوني درع يصور اخضاع مينا لمملكة هاريون الصغيرة (Harpoon) الواقعة غربى الدلتا من الشمال .

وكذلك تقول النقوش انه أخضع التحنو الليبيين النازلين غربى مملكة هاريون . ومنذ هذا الوقت ظلت الصلات تقوى وتضعف ولكنها لم تنقطع ، وظل الليبيون يتسربون نحو النيل في حركة طبيعية مستمرة حتى عظمت جاليتهم وحتى تهيأ الجو لقيام أسرة فرعونية من أصل ليبي .

ثم طرأت على البلاد هجرة الدورين ، وانشأ هؤلاء المدن اليونانية الأولى وظلت الصبغة الهلينية تقوى حتى أن هيرودوت حين زار برقة في القرن الخامس ق م لاحظ ان الصبغة الهلينية كانت تسود البلاد . ثم كانت فتوح الاسكندر حادثاً هز العالم القديم وأواخر القرن الرابع ق م وكان من أثره على مصر أن قام فيها البطالمة (خلفاء الاسكندر) . وكان من الطبيعي أن يشتد الاتصال بين مصر وبرقة ، وان تكون الجاليات اليونانية في البلدين واسطة هذا الاتصال ، وبلغ الاتصال حد المشاركة في حضارة واحدة ، فكان فلاسفة قورينة وعلماءها زملاء علماء الاسكندرية واستمرت الصبغة اليونانية في البلدين بعد زوال الوثنية وقيام المسيحية فكان مرقس الحواري من أصل ليبي وكانت الاسكندرية مهد كرازته بحسب تعبير المسيحيين . ثم ظهر الاسلام فصهر عددا من الامم في أمة واحدة .

أما من حيث السكان فان الفراعنة عرفوا من الليبيين ثلاث قبائل وهى : Lebu Mashwesh Thehenu = Tehnu الليبو والتحنو والمشوش . أما الدورون فانهم وجدوا في برقة أربعة قبائل رئيسية : قبيلة أسبستاي في دواخل قورينة ، وقبيلة Bacales بكاليس عند توكره ، وقبيلة Auschisae أوشيساي عند هسبريدس (= برنيق = بنغازي) ، وقبيلة النسامون غربى برنيق Nasamones وعندما زار هيرودوت قورينة (٤٣ ق م) وجد فيها ثلاث قبائل مهمة هي : Nasamones, Giligmae, Adry machidae . وأما في العصر البيزنطى وفي أول العصر الاسلامى فقد كانت توجد ببرقة وطرابلس قبلتان غالبتان هما لواته وهواره . ثم كانت هجرة سليم وهلال

1) A. DE COSSON : Mareatis, London, 1935

وغيرهم واليههم ترجع أكثر الأنساب اليوم هم والأمازيغيون .
ليبيا قارة عند هيرودوت

كان هيرودوت والجغرافيون القدماء يقسمون العالم الى ثلاث قارات : ليبيا وآسيا وأوروبا . وتناقلت الأجيال هذا التقسيم حتى وصل الى البيروني العالم المسلم في القرن الخامس الهجرى (١١ م) فسجله وان كان قد تقدم وحل محله تقسيم آخر . ونفضل ان نقف عند تحديدهما ، ولنبدأ بالآخر : قال البيروني : « كان اليونانيون يقسمون المعمورة (والمعمورة والمسكونة ترجمة حرفية للاصطلاح اليونانى (ايوكومينيه) بأقسام ثلاثة ... (أولها) ما مال عن مصر وعن بحر الروم نحو الجنوب فاسمه لوبية ، ويحدها بحر أوقيانوس المحيط الأخضر من جهة المغرب ، وبحر مصر (البحر الأبيض) من جهة الشمال ، وبحر الحبش من جهة الجنوب (وهنا نلمس الجهل بالحدود الجنوبية) وخليج القلزم من جانب المشرق . وهذا كله يسمى لوبية (٢) والقسم الآخر ... آسيا ... (٣) والقسم الآخر ... أوروبا ... »

وقد تبع البيروني هيرودوت تقريبا ناقلا عن اليونان . ونقل تحديد هيرودوت . قال : الحد الشمالى لقارة ليبيا يبدأ من حدود مصر (كما كانت أيامه عند ضفة النيل) الى رأس سولجوس (الآن رأس سبارتل على المحيط جنوب غربى طنجة (ك ٢٢، ف ٣٢) والحد الشرقى هو النيل وهو حد واضح في الصعيد ثم يندغم في الدلتا . ولهذا اصطلحوا على أن يكون حد القارة الليبية في وسط الدلتا عند الفرع الأفزر ماء ، وهو الفرع السبىتى (وهو غير موجود الآن) . وكان للنيل ثلاثة فروع طبيعية وفرعان صناعيان . وقد انتقد هيرودوت هذا التحديد لأنه يجعل مصر في قارتين على حد قوله « فجانب من مصر جزء من ليبيا ، والجانب الآخر جزء آسيا (ك ٢، ف ١٨) . وفضل هيرودوت أن يجعل مصر كلها من آسيا بكامل حدودها الغربية عند منطقة مربوط . وقد عزز تحديده لمصر بذكر نزاع على الجنسية بين أهل مدينة ماريا (مربوط) وبين مصر . وكان الحكم فيه يستند على أن المصريين هم الذين يسكنون وادى النيل مما يلي الفنتين وشربون من ماء النيل ، وعلى أن النيل « ... يغمر ما يسمى بالبلاد الليبية وبلاد العرب الى مسيرة يومين من كلا الجانبين ويزيد عن ذلك أحيانا ويقطع أخرى أما في الصعيد فان ضفة النيل الى «الجبال اللبية» التى هي حافة الهضبة الصحراوية تدخل في مصر (ك ٢، ف ٨، ١٩) . وقد جهل هيرودوت الحد الجنوبي للقارة لأنه يقول : يظهر ان قارة ليبيا نفسها محاطة بالبحر الا من جهة اتصالها بآسيا (ك ٤، ف ٤٣) فتصور وجود بحر في جنوبى الصحراء الكبرى .

ونقف في هذين التحديدين عند بعض التسميات : فالبحر الأبيض يسمى عند

هيرودوت اليوناني بالبحر الشمالى ، وعند البيروني ببحر مصر ، وهنا مثل على تغير التسميات المؤسسة على الجهات الأصلية بحسب انتقال مركز الحضارة .

أما من حيث السكان فقد ذكر هيرودوت انهم من مصر الى المحيط قبائل مختلفة يجمعهم جنس واحد (ك ٢، ف ٣٢) .

ونحن اذا تأملنا هذا التقسيم وجدناه مستندا الى مجال الجنس الليبي مضافا اليه جنس قليل الأهمية ينزل في الجنوب هو جنس الحبش أى السودان . فللتسمية ما يبررها اذن .

ظهور اسم افريقية في العهد الرومانى ، وانكماش اسم ليبيا

بدأ اسم افريقية في الظهور عند الكتاب اللاتين منذ فجر القرن الثانى ق م . وكان اسما محدودا يطلق على قبيلة في تونس الحالية تسمى أفرى . ثم ذاع الاسم في أواخر أيام البونيين في قرطاجنة ، ثم جعله الرومان علما على ما استولوا عليه حول قرطاجنة حين أبادوا السيادة البونية في تونس الحالية . وسموا ما استولوا عليه اقليم افريقية Provincia Africa . وكانت افريقية الرومانية محدودة المعالم ، وكان الاقليم الواقع الى الغرب يسمى نوميديا ، والاقليم الواقع في أقصى الغرب يسمى موريطانيا . أما ما يقع في شرقي تونس أو افريقية الرومانية فقد احتفظ باسم ليبيا . ثم كان الرومان هم الذين مدوا اسم افريقية حتى أطلق على كل القارة الليبية القديمة . ولعل أساس امتداد الاسم الجديد هو وحده المصير السياسى اذ صار حكم ما امتد اليه السلطان الرومانى حكم افريقية فصارت طرابلس من افريقية حين كان اقليم طرابلس وحده منضافا الى افريقية الرومانية . فلما استولى الرومان على برقة أجروها مجرى طرابلس ، ثم تلا ذلك استيلاء الرومان على مصر . فكان استيلاؤهم على ما يقع شرقي تونس أمرا تدريجيا ، فتهيا الجو لامتداد اسم افريقية .

وبذلك حل لفظ افريقية محل لفظ ليبيا ، وصرنا اذا جهلنا الجغرافية التاريخية نجعل أيضا أن اسم ليبيا كان يطلق على قارة . وضاق عندئذ مدلول اسم ليبيا حتى صار منذ انشاء ولاية افريقية الرومانية يمكن ان يطلق على ما يقابل المملكة الليبية الحاضرة .

ولا بد من أن تقرر هذه الوقائع بالتواريخ . أما السيادة الرومانية في افريقية وانشاء ولاية افريقية فكان عام ١٤٦ ق م ؛ وتلا ذلك مباشرة ضم طرابلس . أما برقة فانها آلت الى الرومان بعد ذلك بنصف قرن تقريبا (٩٦ ق م) . بوصية بطليموس أبيون الابن الغير الشرعى لبطليموس السابع من بطلمية مصر . وهذان التاريخان حاسمان في تاريخ اسم افريقية وقد ضاق تبعا لذلك مدلول اسم ليبيا .

اقليم ليبيا ، أقسامه وحدوده في العصور المختلفة

ومن الطبيعى أن يكون تقسيم البلاد الموحدة الجنس الشاسعة مثل بلاد القارة الليبية تقسيما تمليه الطبيعة الجغرافية أو الظروف السياسية .

واقليم ليبيا مؤلف من شطرين أو قل من وحدتين جغرافيتين بينهما تشابه ، فكلاهما محاط من كل جهة تقريبا بالصحراوات الفاصلة . وحدودهما البرية كذلك حدود رسمتها الطبيعة . والصحراوات تجعل من برقة وطرابلس واحتين ضخمتين اذا جاز لنا التجاوز شيئا عن المعنى الحرفى . ويصدق على شطرى ليبيا ما يصدق على الواحات من حيث انها بلاد لا يقدر عليها الا أهلها ومن حيث أنها بيئة محافظة بحيث يمكننا القول انه لولا البحر والطريق الساحلى لكانت ليبيا واحتين حقيقتين ضخمتين .

وهذا التقسيم الجغرافى مبنى على التناظر الذى يجذب النظر وينشئ بينهما تكاملا .

التقسيم السياسى : ولكن قد توجد ظروف سياسية أقوى من التجاذب ، وعندئذ يكون التشطير . والواقع ان شطرى البلاد لم يتميز أحدهما عن الآخر الا بالظروف السياسية ، بل نلاحظ أيضا أن الظروف التى اقتضت التشطير كانت ظروفًا طارئة من الخارج ، ونخرج من حسابنا التشطير الذى تقتضيه الضرورة الادارية . ونحن اذا تتبعنا تاريخ البلاد وجدنا أن الشطرين في أقدم الأزمنة كانا متجانسين موحدتين الى الحد الذى تسمح به طبيعة السكان القبلية . ثم كان أول تشطير عندما استولى الفرس على برقة وضموها الى مصر وجعلوها «الستراية الفارسية السادسة» . فسارت برقة في ناحية وسارت طرابلس في ناحية أخرى . وكان التشطير الثانى الذى اكتسب بطوله وعمقه بعض الأهمية : حين نزل الدوريون في برقة في القرن السابع ق م وحين نزل البونيون في قرطاجنة وساحل طرابلس فكان شطر بونيا ساميا مشاركا في حضارة آفلة وكان شطر بونيا مشاركا في حضارة صاعدة قتيبة . وقد شاعت الحوادث السياسية أن تدعم الصفة اليونانية في برقة حين وقعت فتوح الاسكندر ، واتخذت الصبغة الهلنستية بهذه الفتوح شكل عالم متصل الحلقات يدور كله حول الحوض الشرقى للبحر الأبيض . غير أن هذا التشطير الذى طال انتهى عندما قويت رومة وجعلت البحر الأبيض بحيرة رومانية ، وظلت آثار التشطير مع ذلك قائمة في العصر الرومانى فكان قسم يونانيا في صبغته وكان القسم الآخر رومانيا محتفظا ببعض

1) M. CARY : The Geographical Background of Greek & Roman History, Oxford, 1949, p. 220.

آثارها خلفه البونيون . ولكن هذا التشطير كان يخفى وراءه اجتماعا منيا في الحقيقة على وحدة الجنس . وأما منذ قيام الرومان الى الآن أى منذ ١٤٦/٩٦ق م — الى الآن فقد انعدم التشطير الا للحاجات الادارية أو الدفاعية .

والحقيقة التاريخية التي تستتج من هذا العرض ان ليبيا ببرقتها وطرابلسها تتأثر في الوحدة والتشطير بأحوال جيرانها من ناحيتي الشرق والغرب ومن ناحية البحر . **علة التشطير :** وللتشطير علة دفاعية حتمية ، فانه يتم كلما تنازعت قوتان خارجيتان ، هذه ملاحظة والأخرى : أن كل قوة تقوم في اقليم تونس تحتاج لوقوعها أمام إيطاليا وعداوتها لرومة الى ان تجعل اقليم تونس قلبا وقاعدة كبرى للدفاع ، والى أن تتخذ فوق ذلك لهذا القلب جناحين عن يمين من ناحية طرابلس وعن يسار نحو الجزائر الحالية . هكذا كان الوضع أيام البونيين في حروبهم مع الرومان ، ولهذا السبب أيضا جعل المسلمون القيروان قاعدة كبرى .

حدود اقليم طرابلس من الغرب : وحدود طرابلس من الغرب كانت في أقدم العصور الى قيام البونيين في قرطاجنة هي الحدود الطبيعية أى قابس وشط الجريد (= بحيرة ليبيا) والحدود الطبيعية حدود تلتزمها القبائل في العادة ولا تستطيع التغلب عليها الا في أثناء الهجرات الكثيفة . ثم اتصلت طرابلس وقرطاجنة في أثناء العصر البوني فلم تتغير الحدود لأن النفوذ البوني انما تركز في مدن الساحل دون الدواخل . ثم يرث الرومان نفس الوضع كما كان أيام البونيين وتحس البلاد بصخب هذا السلطان الجديد وصولته وتنشأ على حدودها نظم تغرية دفاعية ، تؤدي دراستها الى تعيين الحد الغربي بالدقة . فقد جعل الرومان دفاعهم يتركز على قابس وبحيرة شط الجريد خاصة فأقاموا سلسلة من الحصون تبدأ من قابس وتمر جنوبى شط الجريد ثم بحافة الهضبة الصحراوية التي تنقوس وتبعد في تقويسها عن البحر لتعود اليه مرة أخرى عند مصراثة تقريبا . واتخذوا مع هذه الحصون ضياعا . وعند قابس وشط الجريد كانت توجد الحدود الطبيعية التي تشير اليها التسميات . فان تسمية بحيرة شط الجريد الحالية باسم بحيرة ليبيا تسمية تقابل اطلاق اسم ليبيا على الجبال الغربية الموازية للنيل واسم لويبة على الكورة المجاورة لمربوط . وهنا أيضا الحدود الجغرافية ، ففي هذا الموضع منخفض فاصل مشغول ببحيرات . ففي مقابل قابس توجد أولا بحيرة شط الجريد ثم بحيرة أخرى على امتدادها هي البحيرة التي يصب فيها نهر الزاب المسمى الزافوس Savus عند اللاتين . والواقع أن قابس هي مفتاح تونس من الغرب . ومع ذلك فان هذه الحدود كانت حدودا داخلية في أيام

1) M. CARY, op. cit. p. 707 ; R.C. CAGNAT : La frontière militaire de la Tripolitaine (Mémoire de l'Académie des Inscriptions . . . T. XXXIX, Paris 1912.

البونيين والرومان والروم والمسلمين . ولم تكن تبعا لذلك حدودا مرسومة ضد عدو قريب أو بعيد . ولم تكن حتى في صفقتها الداخلية فعالة الا في فترة محدودة أيام الرومان في القرن الرابع الميلادي .

أما الحدود الليبية الحالية فتقع شرقي مدينة جربة .

الحدود بين برقة وطرابلس : وكذلك الحدود بين برقة وطرابلس حدود طبيعية ، فانه تقع بين العقيلة وسرت منطقة تزحف فيها الصحراء حتى تصل الى البحر . أما من الناحية السياسية فان الحدود اختلفت باختلاف الحدود وسنعرض لها عند الكلام على برقة .

كور برقة

وحدود برقة من الشرق من ناحية مصر حدود تأرجحت تأرجحا كبيرا بتغير الزمان ولنصرف النظر عن النيل والفرع السبتي في الدلتا ، فانه حد هندسي بين قارتين (آسيا وليبيا) ولا يقابل شيئا . فاذا انتقلنا الى غربي الدلتا لقينا غربي الفرع الكانوبي (الذي كان يصب في البحر عند « أبو قير » اقليما يعرف باسم مربوط أو كورة مربوط أو ياجاركيه مربوط ومنيليت . ولنتبر هذه الكورة من مصر كما كانت منذ أوائل العصر الفرعوني . واذن تكون أول كورة من كور برقة على أوسع تقدير كوره لويبة ثم مراقيه ثم اقليم برقة ، فلنحاول التعريف بهذه التقسيمات على الترتيب .

كورة مربوط وحدها الغربي : لا يهنا الحديث عن كورة مربوط نفسها ، فانه كانت دائما خارجة عن ليبيا ، داخلية في مصر ، حتى عندما كانت تستقل بتدبير أمورها بنفسها وانما يهنا الحد الغربي منها المجاور لكورة لويبة .

حد مدينة مربوط : يقول هيرودوت أن حد مصر يبدأ شرقا من بحيرة سربونس (بردويل الآن ومنذ أيام الحروب الصليبية) الى مدينة ماريا (= مربوط) القديمة الواقعة جنوبى البحيرة الى مدينة پلينثين Plinthine الواقعة شمال البحيرة فكلتاها حد ، وتقعان غربي العامرية الحالية ، وعندهما يتقوس الساحل ليكون ما يسمى خليج پلينثين أو خليج العرب^٢ .

(١) ماريا الآن خرائب لا شكل لها ، وهي على مسافة يسيره من قرية الهوارية الحالية نسبة الى قبيلة هوازة التي ادركها الفتح العربي . وقد حدد موضعها محمود الفلكي باشا ، وكانت تعتبر مفتاح مصر أمام أي غزو يرى من هذه الناحية . وقد حلت الحمام اليوم محلها ، انظر

(٢) العامرية كانت تسمى باسم الفيظ وباسم القرية Quarrah وباسم برنجى مربوط ، حقق موضعها محمود الفلكي باشا ؛ ويذكر دى كوسون انه في ١٩١٦ لجأ اليها كثير من المجاهدين السنوسيين (نفس الكتاب المذكور آنفا ص ١٤٥/٦١)

حد باشو عام ١٨٢٤ (أبيس) وقد روى الرحالة باشو Pacho^١ عندما زار المنطقة عام ١٨٢٤ أن حد مصر يومئذ Buon Adjoubah, Apis فإذا رجعنا مع دى كوسون أنهما مكانان قريبان من ابو صير Taposiris^٢ كان محتما أن نقول أن الحد عام ١٨٢٤ هو نفس الحد الذى ذكره هيرودوت فى القرن الخامس (ق.م). ونذكر تقاديا للابهام أن باشو ذكر هذا الحد على أنه الحد الفعلى ثم أضاف أن وراءه منطقة فاصلة ممتدة الى السلوم ، وأن حد السلوم فاصل بين أولاد على شرقا وبين الحرابى النازلين غرب السلوم .

حد العلمين : أما دى كوسون الذى خصص كتابا لكورة مريوط، فإنه يجعل الحد الغربى غربى العلمين بقليل عند خط طول ٢٩ . وهذا التحديد ينقلنا ويقصينا عن حدود هيرودوت نحو الغرب بحوالى ٧٠ كم .^٣

حد الحمام فى العصر الاسلامى : ونحن اذا رجعنا الى كتب الجغرافيين والمؤرخين وجدنا ذات الحمام حدا مهما فقد ورد عند المقدسى الجغرافى (ص ٢٢٤) أن عمارة ذات الحمام من امارات ظهور الفاطمى على مصر . ومثل هذا التنبؤ اما ان يكون بعد ظهور الفاطميين فى افريقية أو بعد دخولهم مصر . ونحو ذلك ما قال ابن الفقيه فى خواص البلاد (ص ٤/٣) : صورة الدنيا على خمسة أجزاء كراس الطير والجناحين والصدر والذنب ، والذنب من ذات الحمام الى المغرب . فإذا رجعنا الى أصحاب المسالك عرفنا أن ذات الحمام هى الحمام بحسب ما ورد عند ابن خرداذبه (٨٤ ، ٣٦٦) والادريسي (ص ١٣٦) (الاسكندرية ثم بومينه ٢st Menas, Boumnah, Abomna) (وقد يرد بدلها تونيه ولعلها محرف Toenia) ثم ذات الحمام ومجموع المسافة ٣٨ ميلا . فإذا رجعنا الى المؤرخين وجدناهم يذكرون ذات الحمام فى حوادث مختلفة فى القرون الهجرية الأولى ، ونستنتج من الحوادث ان ذات الحمام لها أهمية حربية كحدود فعلية . وقد ورد فى ابن الاثير أن بين ذات الحمام وبرقة (هكذا والمقصود كل أقاليم برقة) مفازه قدر مرحلتين لا يوجد فيها الماء الا بصعوبة وشدة فى آبار عميقة . ويتفق هذا مع قول قدامة الجغرافى أنه : من ذات الحمام يحمل الماء فى البرية ويقترب الطريق من بحر الروم . ويوافق هذا قول دى كوسون فى وصف هذه النواحي الآن ، فهو يقول انه توجد فعلا منطقة فاصلة هنا بحيث أن العرب النازلين غربى العلمين يسمون أرضهم « المقتوعة » فإذا خرجوا منها الى الحمام والعمارية كانت ناحية « خشم العيش » هى أول العمران . وللحمام الآن أهمية تجارية ففيها

(٢) دى كوسون، المذكور بالانجليزية ص ٢٠٢

(٢) نفس المرجع، ص ٢٥

(٣) نفس المرجع ١٣٦/١٣٥ وقد وصف البكرى فى القرن الحادى عشر الميلادى كنيسة بومينا وصفا مسهبا .

تعقد اسبوعيا سوق كل سبت ، ولها أيضا أهمية فى المواصلات : فعندها كان ينحرف طريق الحج القديم نحو وادى النطرون والقاهرة . ويذكر الجغرافى قدامه بن جعفر (ص ٢٢٠) أنه عندها يلتقى طريق برقة وطريق الاسكندرية .

ثبات حد مريوط : وينتج من استعراض هذه التحديدات أن حد مريوط يتراوح بين «ابوصير» Taposiris والحمام والعلمين . وهذا المتراحى فى التحديد غير مهم فنحن نعلم ان المدن الكبيرة مثل مارياتى دالت ومثل الحمام فى العصر الاسلامى لا تكون بذاتها حدا ، وانما تدخل فيها أيضا أرباضها ومن يتصل بها خاصة من البدو . والواقع ان المدن لا تكون حدا هندسيا الا اذا وقعت عند نهر أو جبل حاجز أو على ساحل .

حد مريوط حد داخلى : كانت مريوط فى القديم حدا دوليا بين قارتين ، واقتضى ذلك أن يسمى ما وراء مريوط غربا باسم «لوية» كما سميت الجبال الغربية المحاذية للنيل . ثم نمت رقعة مصر منذ القديم بحكم الاتصال بالليبيين وخاصة عندما قامت فى مصر أسرة فرعونية ملكية من أصل لىبى فزحفت الحدود الرسمية نحو الغرب فدخلت فى مصر فى أكثر الاوقات لوييه ومراقيه وبرقه ، ودخلت فيها طرابلس أحياء فى بعض التقسيمات الادارية ، وصار حد كوره مريوط الغربى حدا داخليا ، ومع ذلك ظلت منطقة مريوط فى كل الأحوال منطقة ثابتة بثبات الجغرافيا .

ومن امثلة الضم الادارى أن تراجان ضم مراقبة الى مصر ، وان جستيان ضم كوره لوييه وكوره مريوط وجعلهما قسما واحدا منفصلا عن اقليم مصر الأول Aegyptus I كما ورد فى المرسوم الثالث عشر Just. Edict XIII

كوره لوييه

وتقع لوية فى غربى مريوط ، وحدها الشرقى فى نواحي العلمين الحالية حيث يضع دى كوسون مدينة Leucaspis (وخرابتها على نحو ٥ كم من العلمين) وعاصمة الكورة هى مرسى مطروح الحالية وهذا الاسم حل محل الاسماء القديمة : مرسى البركة ، والبرطون مغرب Paraetionium ، وقد سماها استرابون Ammonia

أما الحد الغربى فهو السلوم Catabathmus

ويوجد فى المصادر العربية بعض التردد فى تصور مواقع لوية ومراقبة^١ ، وهو تردد يدل على أنهم ذكروا الاسماء استنادا الى مرويوات قديمة كانت قد دالت .

(١) مثال ذلك ما روى ياقوت الحموى فى معجم البلدان « اذا قصد القاصد من الاسكندرية الى افريقية فأول بلد يلقاه مراقبه ثم لوييه . وهذه الرواية مفردة من جهة ومرجوة من جهة أخرى بما كان معروفا قبل الاسلام وبعده وخاصة رواية القلقشندى عن القضاء (ح ٦، ص ٢٨٧) التى تقول وفى آخر ارض مراقبة تلقى ارض انطابلس .

فمعرفتهم للكورتين معرفة غامضة مع انهم حققوا وضع مريوط ورووا في فضائلها مثلاً ما يأتي : « لم تطل أعمار الناس في بلد من البلدان طولها بمريوط من كورة الاسكندرية وبوادي فرغانه » في وسط آسيا . ويظهر أنه كان من نتيجة سقوط هاتين التسميتين أن امتد اسم برقة في مكانها ، كما نرى عند ابن الاثير في قوله ان بين ذات الحمام وبرقة منزلتين (أخبار سنة ٣٩٧ في ثورة ابي ركوره) .

كورة مراقية

واسم مراقية مأخوذ من اسم شعب المرمريق Marmaridae وكانت عاصمتها تسمى Marmarice أيضاً ولا يعرف موضعها اليوم ويقال انها كانت نحو الداخل، وكانت أهم من درنة وطبرق Darnis, Antipyrgus ويضيف دى كوسون أربع مدن أخرى في كتابه عن مريوط .

وبعض المؤرخين يدخل درنة في برقة ، ويخرجها من مراقية ويجعل الحد بين الاقليين واقعا بين خرسونيز Chersonesus^٢ ودرنة .

ولدينا نص بردي محفوظ بالفاتيكان (رقم ٥٣ Sludi e testi) ورد فيه اسم مراقية على أنه نوم من نومات مصر (وقد امتد التقسيم الى نومات بمعنى الكور الى العصر الروماني) ويعلق المؤرخون على هذا الخبر بأن هذا الحادث يمكن أن يكون وقع بسبب الثورة اليهودية في أواخر حكم تراجان^٣ .

اقليم برقة بالمعنى الضيق : ذكرنا أن اسم برقة امتد شرقا حتى قارب الحمام ونضيف هنا انه امتد غربا حتى وصل الى غربي العقيلة الحالية أيام البطالمة . وقد جرى المؤرخون المسلمون فعلا على اعتبار برقة اسما عاما يدخل في حكمه كل ما تعلق ببرقة من الجهات شرقا وغربا . أما المعنى الضيق فثابت للآن في الجغرافيا بتميز منطقة البطنان في برقة الحالية ، والبطنان تقابل مراقية ، والمعنى الضيق ظهر أيضا في أيام الدورين قبل البطالمة فان الدورين انقسموا بعد العصر الملكي حول مدينتين أو حكومتين قورينه Cyrene وحكومة برقة Barca ثم زال هذا التقسيم أيام البطالمة، ثم آلت البلاد الى الرومان (٩٦ ق م) بوصية من بطليموس أبيون . وبقي اسم أنطابلس، ففي القرن الثالث الميلادي جعل الامبراطور الروماني (دقلديانوس : برقة اقليما مستقلا وسماه Libya Pontopoliso أو Libya Pontopolis) ليبيا الأنطاقلية، أو أنطابلس الليبية) وظل هذا الاسم مستعملا الى أوائل العهد الاسلامي ثم اندثر وحل محله اسم برقة عند من يكتبون بالعربية ، وان كان اسم سيريانيكا هو الذي

1) Cataeunium, Batrachus, Paluvius, Axilis

(٢) ولهذه المدينة سمية عند الاسكندرية تعرف باسم خرسونيز الصغرى ، ويوجد في موضعها اليوم سیدی العجمی والدخيلة .

3) Cambridge Ancient History vol. XI Ch. XVI

لا يزال يستعمل عند الفرنج الى الآن .

وقد بادت اسماء العصر القديم اليوناني والروماني الا طليثة ودريانه فان احدهما تذكر بالبطالمة والأخرى باسم الامبراطور هديان . أما اسم ارسينوى Arsinoë الذي كان يطلق على توكره Tocræ فقد باد، وكذلك اسم Apollonia الذي كان يطلق على سوسه Sozusa ، وبقيت ذكريات للقديم اليوناني عند البدو فأهل أوجله يذكرون برنيق Berenice^١ وأهل الشحات يذكرون قرنه على انها اسم موضع لا شيء فيه قريب من آثار قورينه .

وحد برقة بالمعنى الضيق يشمل درنه أو لا يشملها شرقا ويمتد غربا الى بنغازي (= برنيق = هسبريدس Hesperides, Eusperides) قبل عصر البطالمة ثم في عهد البطالمة الى اوتوملاكس Automalax أو ايفرناس Euphrontas أو مذبج فيلاني^٢ التحديدات الاسلامية لبرقة

نقل الكتاب المسلمون الينا أسماء التقسيمات الكبيرة (لوية ، مراقية ، برقة) ولكنهم لم يهتموا بالتفاصيل . وانصب اهتمامهم خاصة على ذكرى حد برقة من الغرب ، ويرجع هذا الاهتمام الى ان برقة كانت في الأغلب منضافة الى مصر ، فكان حد الأعمال أو التقسيمات الادارية هو الذي يجتذب الاهتمام ، ولندكر بعض التحديدات :-

١ - روى القلقشندي (ح ٦، ص ٣٨٧) أن مراقية هي آخر الديار المصرية من جهة الغرب ، ويؤيده قول ياقوت : ان لوية ومراقية من كور الاسكندرية، ويؤيده ايضا قول المراكشي ان : « بر برقة المقابل لكريت هو أول المغرب » (ص ٢١) ومعناه بحسب ما نرى ان برقة خارجة عن اختصاص مصر .

٢ - ويشبه التحديد السابق تحديد رواه الادريسي حيث قال : مدينة برقة أول منبر ينزله القادم من بلاد مصر الى القيروان (ص ١٣١) فانه دلنا على وجود ثلاثة منابر . في مصر ، وفي برقة ، وفي القيروان . وبرقة في هذا التحديد خارج مصر .

٣ - ونجد في روايات ابن الاثير (أخبار عام ٣٠٠هـ) تحديدا آخر يجعل برقة من عمل مصر ، ويجعل نهايتها الغربية عند مدينة انطابلس ، وقد ردد هذا التحديد القلقشندي (ح ٣، ص ٣١١) فقال على فراسخ منها عند العقبة الكبرى . ويستطيع من يعرف البلاد أن يؤكد ان المقصود هو عقبة توكره أو الباكور . وقد ردد المراكشي هذا التحديد فقال « أول حد بلاد المغرب مدينة انطابلس المدعوة برقة، . . . ومنها كان ابتداء فتح المغرب » ص ٣٤٧ . وقد روى ابن اياس ص ٧، وابن خرداذبه ص

(١) يذكر الادريسي ص ١٣٢، ١٣٥ : اقليم برنيق ووطاء برنيق ويقول انه الارض التي بين مدينتي برقة واجدادية

2) A.H.M. JONES : The Greek City from Alex. to Justin Oxford, 1940, p. 362.

٨٣، والادريسي ١٣١ وابن الفقيه ص ٥٧٢ أن حد مصر من مدينة برقة الى عقبة
أيله ٤٠ يوما .

وقد اعتمدت شخصيا هذا التحديد فيما يخص فتح العرب لمصر ، فاعتبرت
فتح برقة الأول على يد العرب تنمة طبيعية لفتح مصر بحسب العرف الاداري
البيزنطي الذي كان قد دام عدة قرون عندما جاء الاسلام .

وقد ذكر ابن خلدون أن مثل هذا التحديد كان عرفا جاريا في عصره فقال ص
١٠١ : والعرف الجارى لهذا العهد . . . لا يدخل في المغرب اقليم مصر ولا برقة وانما
يختص المغرب بطرابلس وما وراءها ، ويذكر السلاوي ص ٣ مثل ذلك .

٤ - ولدينا أيضا تحديد فعلى مستمد من روايات المؤرخين للحوادث
التاريخية . فان تتبع أخبار الخوارج في القرن الثاني للهجرة في افريقية يدل على ان
سرت كانت آخر حامية طرابلسية ، ومعنى هذا ان ما وراءها شرقا يتبع برقة أو على
الأقل أن سرت مفتاح طرابلس . ونجد كذلك في خبر خروج العباس بن احمد بن
طولون على أبيه أن آخر حصن لأبن الاغلب كان لبدة حيث كان يوجد عامل لابن
الاغلب . وتدلنا أخبار الفتوحات على أن قصور حسان كانت من حيز برقة .

لفظ المغرب :

ويرد لفظ المغرب دائما في العبارات التي تتعرض لتحديد عمل مصر أي
اختصاصها الاداري أو عند تحديد برقة من جهة الغرب . ونلاحظ عندما نريد
استخلاص حدود المغرب من النصوص أننا أمام قاعدة هي : ان ما عدا مصر هو
المغرب كما كان ما عدا مصر هو قارة ليبيا . وعلى هذا اختلفت حدود المغرب من
جهة مصر باختلاف عمل مصر الاداري بحسب التقاليد الادارية . فيكون حد المغرب
مرة عند ذات الحمام، ومرة غربى مرقية، ومرة عند غربى برقة . ولا يبعد قط ابتداء
المغرب عن ذلك .

والخلاصة ان اسم ليبيا ورد عند العرب كاسم قارة ولم يطلق قط على
برقة وطرابلس طول العصور الاسلامية السابقة ولا على بحيرة شط الجريد وانما
اطلق على كورة وجبال وصحراء، ولكن الاسم قديم أصيل لا يعرف أوله، ثم اطلق
على برقة وطرابلس فعلا منذ قيام اقليم افريقية وابتداء السيادة الرومانية (حول
١٤٦ ق م) ثم حل لفظ المغرب عند كتاب اللغة العربية محل اسم ليبيا تماما . ومع ذلك
فان قدم الاسم وأصلته وسرعة قبوله اليوم يجعلنا نرجو أن يكون الاسم القديم
المبعوث بشيرا بنهضة ثابتة الدعائم وان يكون الاسم موضع الترحيب .

محمد عبد الهادي شعيرة

بنغازي

استاذ التاريخ الاسلامي بالجامعة الليبية
وجامعة عين شمس

الأمدي وكتابه الموازنة

للدكتور طه الحاجري

- ١ -

قلت في مقدمة الجزء الأول من كتابي «في تاريخ النقد والمذاهب الأدبية» ان «النقد
الأدبي أكثر وجوه النشاط العقلي تأثرا بسائرهما، وتعبيرا عن اتجاهاتها، وجريا مع
تياراتها المتباينة، حتى لنستطيع القول - في غير مبالغة ولا تجاوز لحدود التقدير
العلمي - اننا نملك - اذا أتيت لنا مجموعة هذا النقد مكتملة منتظمة منسقة -
أن نتعرف فيها أصداء جميع ما أتيح للعقل الاسلامي والجماعة الاسلامية، من تغيير
وتطور، ومن تبدل وتحول، واضحة جلية» .

وهذا قول عام يصدق - فيما نرى - على النقد الأدبي عامة، لا يختص به
عصر دون عصر، ولا بيئة دون بيئة، ولا أمة دون أخرى، اذ كانت الأسباب المفضية
الى هذه النتيجة أسبابا عامة، على النحو الذي بيناه هنالك . فليس يتوجه على هذه
القضية العامة أن يكون لمصر من العصور بعض الخصائص التي يبدو أنها تبعد به
عن الاندراج تحتها والوقوع في حكمها، كالذي يمكن أن يقال عن القرن الرابع الذي
نؤرخ هنا لبعض وجوه النقد الأدبي فيه، اذ ندرس الأمدي في كتابه الموازنة ،
من انه عصر التخصص، وانه بذلك يختلف عن العصور السابقة التي كانت وجوه
النشاط العقلي فيها أكثر تجاوبا، وأظهر تداخلا، وأوثق اتصالا، مما كان أعوز على
تحقيق تلك الظاهرة، أما هو فان الحياة العلمية أخذت فيه طابعا جديدا، اذ برزت فيه
تلك الظاهرة التي كانت تتكون من قبل شيئا فشيئا، وهي ظاهرة التخصص العلمي،

(١) انظر ما قاله ، مما هو بسبيل من هذا Fernand Baldensperger بالتباس الى تاريخ
النقد الادبي في فرنسا في كتابه :

La critique et l'histoire litteraires en France ... etc. p. 13